ليلة ظهور القمر الدامي

دعاء سيد

كان الجميع فى اشغالهم يفكرون فى انهائها مبكرًا فإنها الليلة التى تسبق ظهور القمر الدامى فى القاهرة، الجميع متوتر وخائف ووسائل الاعلام تحذر المواطنين من الخروج من منازلهم غدًا فى الوقت ما بين السابعة مساءً والرابعة فجرًا لما لها من اضرار بالغة على العقل البشرى لم يتمكن العلماء من معرفتها بعد، لم تكن المرة الاولى التى تحدث بها هذه الظاهرة ولكن منذ اخر مرة حدث بها هذا الحدث رأوا الجنون يصيب الناس فى الشوارع، أصبح تفكير الجميع مُنصب على دراسة هذه الظاهرة، واليوم أصبح جميع العلماء يخشون هذه الليلة وما يمكن ان يتبعها من كوارث.

كان هو جالسًا فى منزله على الاريكة الكبيرة فى البهو وامامه التلفاز يفكر فى يومه المشحون بالمشادات مع رئيسه بالعمل والذى انتهى بقوله له: "أنت لا تصلح لمهنة الصحافة، من اليوم لن تدخل من

باب الجريدة إلابعد ان تعثر على خبر جديد يمكننى نشره غير هذه الترهات التى تحضرها فى كل مرة."

بعد تذكره لهذه الكلمات اطلق سبة عالية وهو يلعن اليوم الذى احتاج فيه للعمل فى هذه الجريدة واحتياجه لقوت يومه، فهو شاب وحيد توفي والداه وليس لديه أخوة، يعيش وحيدًا منذ أكثر من خمس سنوات، لم يترك له والداه ميراث، لذلك عندما أنهى جامعته اخذ يبحث عن عمل فى جريدة، حتى وجد تلك بعد عناء وعليه الآن أن يحاول المحافظة عليها بكل جهده، حاول انتزاع هذه الافكار من عقله، ومن ثم امسك جهاز التحكم فى التلفاز واخذ يحاول تشغيله حتى صدع صوت احد العلماء، عندما دقق النظر فى ملامح العالم الظاهرة بصعوبة من التلفاز المتهالك تمكن من معرفته، فهو احد العلماء المهتمين بظاهرة الخسوف والكسوف ودراسة الفلك والأجرام السماوية منذ فترة كبيرة، ولم يعرف منذ مولده احدهم مهتم بالفضاء مثله حتى هذا اليوم فى سنة ٢٠٤٠.

" تبًا لغبائى كيف نسيت هذا اليوم!" قال هذه الكلمات لنفسه ومن بعدها قام برفع صوت التلفاز، ليأتي صوت العالم عاليًا:"انها لظاهرة غريبة تحدث على فترات متباعدة يخيم على العالم كله اللون الأحمر، قد تستغرق عدة ساعات.. حتى يومنا هذا لم نتمكن من معرفة اخطارها ونتائجها على العقل البشري، فهى ترسل الاشعة الضارة القادرة على اقتحام عقل الانسان وتغيير الكثير فيه، لذلك من خلال برنامجك هذا أعلن عن حاجتى لمتطوع واحد لكى يظل فى هذا اليوم جالسًا فى مكان مخصص ليكون قريبًا من الاشعة لدراسة الأمر عليه بعد انتهاء الظاهرة، وسيحصل على مبلغ مالى كبير، أى شخص يريد التطوع يمكنه المجئ إلى مكان معملى المعلن على الشاشة ".

وبعدها انقطع صوت هذا العالم بل وانقطع صوت التلفاز كله، القى جهاز التحكم بإهمال بجانبه وبدأ يجول ببصره فى انحاء منزله، الاثاث المتهالك والسجاد والستائر البالية وملابسه الملقاة بإهمال فى كل ركن فى المنزل، وفجأة طرق عقله كلام العالم وحديثه عن المبلغ الكبير الذى سيحصل عليه المتطوع فى حالة قيامه بالمهمة ،، أخذ يفكر كثيرًا

بحالته وانه لا أحد له وحياته البلا فائدة وحاجته الكبيرة للأموال وبدأ فى اقناع نفسه بإستحالة ان يُعرض عالم مثل هذا احد الاشخاص الى الخطر ،، فأهتدى عقله فى نهاية النقاش أنه سيذهب للعالم ويأخذ الاموال قبلها ،، وكان من حُسن حظه أنه استطاع حفظ العنوان قبل غلق التلفاز.

لم تمر ساعتين إلا وكان قد وصل إلى العنوان .. كان المنزل عبارة عن طابقين يحيطه حديقة كبيرة وعلى بوابة المنزل كان هناك لافتة تحمل اسم العالم ،، فتح البوابة ودخل ومن ثم طرق على باب المنزل ،، لحظات مرت ثقيلة على قلبه وعقله الذى انهمك فى التفكير فى العودة وربما يمكنه الحصول على اموالمن غير طريقة تعرض حياته للخطر،، انقطع سيل الافكار فى عقله عندما فتح العالم الباب اخذ ككلاهما يدقق النظر فى الاخر وكأنه يحفظ ملامحه ،، فالعالم يرى امامه شخص فى العشرينات من عمره وسيم الوجه وجسده النحيل بعض الشئ وكأنه يحمل هموم الكون ،، أما هو فيرى امامه رجل فى الاربعينات من عمره ربما تخطاها ببعض السنون مبتسم الوجه يغلب عليه بعض الشعيرات

البيضاء ، يرتدينظارة طبية ويرتدى البالطوا الطبى الذى يظهر من تحته قميص وسروال جينز يضهى عليهم الثمن الباهظ.

" تفضل الى الداخل" .. نطق بها العالم وهو ليفسح الطريق له ليدخل هو ويبدأ فى النظر الى المنزل الذى يتضح له انه منزل معيشة العالم من الصور المعلقة على الحوائط والاثاث الفخم ،، كان المنزل يتكون من طابقين فسبقه العالم وهو يتبعه على الطابق العلوى وهو منبهر من جمال المنزل حتى وصلا الى غرفة فى احد الزوايا فى الطابق ففتح العالم بابها ودخلا ،، ليفاجأ هو بها انها غرفة كبيرة مجهزة بأحدث الاجهزة المعملية التى قرأ عنها من قبل ،، ففتح فاه مبهورًا بها.

دخل العالم وجلس على مكتبه الذى يقبع فى احد زوايا الغرفة ودعاه هو الى الجلوس معه،، بعد لحظات كانا يجلسان امام بعضهما البعض .. بدأ العالم حديثه قائلًا :- " اعلم انك هنا بسبب اعلانى عن متطوع ،، لا وقت لدينا لنبدأ الآن"

تفاجأ هو من معرفته بذلك وسأل متفاجئًا :- " ولكن كيف علمت؟"

العالم :- لن يأتى احد الى فى هذا الوقت وهذه الليلة الا لشئ يخص القمر الدامى

هو :- حسنًا ولكننى لن اقوم بالتجربة حتى احصل على اموالى كاملة قبلها.

اخذ العالم يفكر وهو يقول فى عقله " غبى،،لا يعلم كم الاموال التى سيحصل عليها بعد التجربة ،، لا يعلم ما سيصبح عليه بعد عدة ساعات "

نظر له العالم وهو يبتسم :- حسنًا وانا موافق

فتح العالم درج مكتبه واخرج العديد من الأموال واعطاها له ،، نظر هو الى اللاموال بفرحة وذهول وهو يتلمسها ،، لم يعرف يومًا طعم الشعور بالكثير من الاموال فى يديك ،، شعروكأنه ملك العالم بين يديه ،، دقائق مرت وهو ينظر الى الاموال والعالم ينظر له ويتابع تطور نظراته وتعبيرات وجهه.

قطع هو الصمت الدائم وهو يقف من مجلسه قائلًا :- سأذهب إلى المنزل الآن لأترك الأموال.

هبّ العالم من مكانه سريعًا وهو يرمقه بغضب :- من المستحيل أن تذهب الآن ،، لدينا الكثير من التحاليل والاختبارات والعديد من الكيماويات التى يجب أن تأخذها قبل فترة محددة من التعرض للأشعة.

نظر هو له عدة لحظات وهو يحاول الاقتناع بحديثه ،، مرت دقيقتين وبعدها جلس على كرسيه مرة اخرى وهو يتطلع له :- حسنًا لنبدأ

مرت الساعات التى بعدها والعالم يقوم بإجراء التحاليل والاشاعات وتأكد من خلوه من أى امراض يمكنها أن توثر عليه بالسلب أثناء التجربة وقام بحقنة بالعديد من المركبات الكيميائية التى اخبره انها تستجيب للأشعة الصادرة من هذه الظاهرة وأنه بعدها سيأخذ عينة من دمه ليرى ما حدث بها من تغيرات وانها غير ضارة عليه ،، وان هذه المركبات لم يفصح عنها بعد للعالم والصحف العلمية وأنها ستكونتقدم فى علم الكيمياء مع ابحاثه عن هذه الظاهرة بعد دراستها عليه.. اخبره انه سيطمع فى الحصول على نوبل عندما يفجر

اكتشافه هذا فى مؤتمر علمى يخطط له منذ الكثير من السنوات وقد قارب موعده كثيرًا بعد يوم القمر الدامى.

بعدما انهى العالم جميع فحوصاته جلسا معًا امام التلفاز وهما يتابعان الاخبار قبل ساعتين من حدوث الظاهرة ،، جميع القنوات والأعلاميين يحظرون الناس للمرة التى لا تحصى بعدم الخروج من منازلهما بعد ساعتين وحتى الرابعة فجرًا بالرغم من انتهاء الظاهرة مبكرًا ،، وهذا الأسلم لهم.

طلب هو من العالم ان يستريح قليلًا من ارهاقه ،، فوافقه العالم وترك له الأريكة التى فى المعمل ليغفو عليها واخبره انه بعد ساعتين سوف يوقظه ،، نام هو على الاريكة بينما كان العالم جالس امامه على المكتب يتابع حركات جفونه اثناء النوم ويدون الملاحظات ،، حتى مرت الساعتين واوقظه العالم من غفوته وأطمئن على جميع مؤشراته الحيوية ليتأكد ان المركبات لم تقم بعمل سلبى واملاه عنوان المكان الذى سيجلس فيه بالقرب من الاشعة وشرح له طريق الوصول أليه واعطاه حقيبة بها مياه وبعض الادوية التى اخبره بميعاد اخذها حتى

يعود والأموال التى أصر هو على اخذها معه ،، واخيرًا عند توديعه له امام الباب اعطاه موبايل للتواصل معه اذا جد جديد ،، وأكد عليه ضرورة ترك مكانه بعد مرور ساعة من انتهاء الظاهرة والعودة الى هنا مباشرة لبدأ اجراء الفحوصات عليه مرة اخرى.

أما هو،، ففى اثناء سيره الى مكانه المقصود كانت الشوارع خالية ،، ربما المواطنون قد استمعوا الى التعليمات جيدًا ،، يكاد يسمع صوت الرياح من حوله ،، فهو يظن انه اذا القى بإبرة على الارض سيمع صوتها بكل وضوح .. فقد كان يشعر ان كل شئ يسير بسرعة من حوله ،، يشعر بالكثير من الافكار المشوشة فى عقله والكثير من الاحداث تمر سريعًا فى ذاكرته منذ مولده وحتى هذا الوقت ،، لا يعرف كم مرّ من الدقائق حتى وصل الى مقصده وقد بدأ فى مراقبة الأجواء من حوله والتطلع الى المكان الفسيح الواسع وهو جالس بمفرده وذكرياته تجتاح عقله ،، لم يمرّ الكثيرحتى بدأت ليلة القمر الدامى فى القاهرة والعالم كله..

بعد مرور يومان ، كان العالم جالس فى معمله يكاد الجنون يصيبه ،،يتابع الأخبار ويقرأ الصحف ،، يقوم بالأتصالات التليفونية فى المحاولة للوصول اليه ،، امر رجال بالوقوف امام باب منزله بأنتظاره حتى يجئ ولكنه لم يأت وامر اخرون بالوقوف امام باب الجريدة التى يعمل بها لعله يذهب الى هناك ولكن ايضَا لم يحصل على أى خبر عنه ..

قطع سبّاته العنيفة صوت التلفاز وهو يصدع بقول المذيع :- " عاجل .. لقد تعرض رجل أعمال شهير الى تعدى وحشى عليه بينما كان فى منزله وسرقة جميع امواله ومستنداته التى كانت فى الخزينة وقد مات على اثرها فى المشفى كما حدث فى اليومين الفائتين لرجال الأعمال الثلاث الشهيرين .."

وتبعه بعد ذلك تسمية اسماء رجال الأعمال وانطلاق تقرير مرة اخرى عن مكان الحادث ،، كان العالم قد القى بكل ما على مكتبه بعنف على الأرض وهو يقول :- "غبى .. لم يكن هذا المخطط .. لقد خالف الأوامر .. كان يجب فى الأول ظهوره معى فى المؤتمر العلمى .. غبى"

قطع صراخه صوت احد رجاله وهو يطرق على باب معلمه ومعه "هو" وعلى وجهه ابتسامة .. صرخ العالم بالرجل بترك "هو" والخروج وعدم الدخول إلا عندما يطلب ذلك..

بعد خروج الرجل جلس "هو" على أحد المقاعد وهو ينظر إلى العالم بثبات .. بدأ العالم سؤاله بسرعة :- ماذا حدث لك طوال الفترة الماضية ؟.. ولماذا لم تأت الى هنا فورًا بعد انتهاء الظاهرة؟..

نظر له هو بأبتسامة وتكلم بهدوء :- هل تسأل عنى أم عن المخالب التى بدأت بالظهور بعد ساعة من ظهور القمر الدموى أم عن جسدى الذى شعرت فيه بالحرارة القاتلة أم عن عقلى الذى قارب على الأنفجار؟ ،، اخبرنى"

اجابه العالم بشئ من الصراخ :- لم يكن من المفترض ان يحدث هذا كله مبكرًا ،، لقد كانت خلاياك نشطة جدًا لأستقبال الاشعة ،، كان تقديرى انها لن تحدث الا بعد قدومك الى هنا ،، ولكننا نستطيع الان ان نجرى المؤؤتمر العلمى ،،سأكون انا اعظم العالم فى التاريخ ..

كان العالم يقول هذه الكلمات وهو مُعطيه هو ظهره ،، كانت حماسته فى الحديث العارمة انقطعت عندما التفت بوجهه ناحيته "هو" ولم يجده فى مجلسه ،، لم تمر الكثير من الدقائق حتى سمع الحارس صوت صراخ مدوى ،، حاول كثيرًا فتح الباب ولكن دون جدوى،، فقط الصراخ ..

بعد مرور اسبوعين ،، يجلس "هو" فى منزله الجديد وفى يديه غليونه عندما ناولته الخادمة فنجال قهوته ومعه الاصدار الجديد من جريدته ،، امرها بالانصراف ومن ثم امسك الجريدة وقرأ الخبر فى الصفحة الاولى والذى بعنوان " مقتل العالم الشهير فى معمله وعدد من رجال الأعمال فى منازلهم بطريقة وحشية مازال لغزًا ،، والجميع فى حالة ذعر."

ترك الجريدة على المنضدة واتجه ناحية الشرفة التى كانت فى مقابلته ونظر الى القمر الابيض اللامع فى السماء ،، لتلمع عينيه ايضًا ولكن بلون الدماء وهو يبتسم ساخرًا..